

# برنامج الثابت المتحرك المعرفي

رغم أن «المعرفة» على المستوى التطبيقي ( مستوى التجربة ) أمر فطري لا يحتاج لذكاء أو فطنة، إلا أنها على مستوى التنظير والتجريد ضبابية يصعب التنبأ بأشكالها وطفراتها. وهو ما يجعل الحديث عنها، في معظم من الأوقات، أكثر إبهاماً لها. وهو ما يدفعنا، أيضاً، للتنبيه بأن هذا الجزء من الموقع هو للمهتمين والمتشوقين فقط.



## ماهية المعرفة

الجواب على ذلك السؤال مكون من أربع مراحل.

### المرحلة الأولى

لنبداً بما نعرفه عن أنفسنا وعقولنا.

نعرف، أولاً، أن لدينا أعلى الرأس جهاز [هاردوير] حيوي يدعى «الدماغ»، تتم داخله عمليات توصف بأنها عقلية أو ذهنية. نعرف كذلك بأن مجموع العمليات الذهنية أو العقلية [سوفت وير] - التي يصطلح على تسميتها «العقل» أو «الذهن» تجعلنا ندرك أن لدى كل منا عقليين لا عقل واحد: العقل الظاهر والعقل الباطن.

لنقم، الآن، بمقارنة بسيطة بينهما

العقل الباطن	العقل الظاهر	
أثناء النوم والغيبوبة	أثناء اليقظة	أوقات التعامل
غير مباشر	مباشر	نوع التعامل
غير محدود	محدود	كم المعلومات

### المرحلة الثانية

أن نعرف أن التربية، مهما كان، جنس الانسان أو ثقافته لا تعدو أن تكون عملية «برمجة عصبية» بغرض «بناء» العقل الباطن وترتيب معلوماته. ومفردة «البناء» هنا لا تعني البناء الإيجابي فقط، بل قد يكون البناء سلبياً، كما في تعلم التدخين أو المخدرات. أما «البرمجة العصبية» فنقصد بها دفع الإنسان لبناء توصيلات دماغية تجعله يفكر أو يتصرف بطريقة ما. ( للمزيد عن الموضوع راجع كتاب الروابط ).

### المرحلة الثالثة

أن نعرف أنه بجانب التربية والمؤثرات الخارجية هناك حقائق يفرضها الجسد على العقل، فالمولود، مثلاً، يحتاج لأربعين يوماً تقريباً حتى يتعلم فن الإبصار، وسن المراهقة بين الحادية عشر والسادسة عشر، والأربعون هي سن الحكمة، الخ.

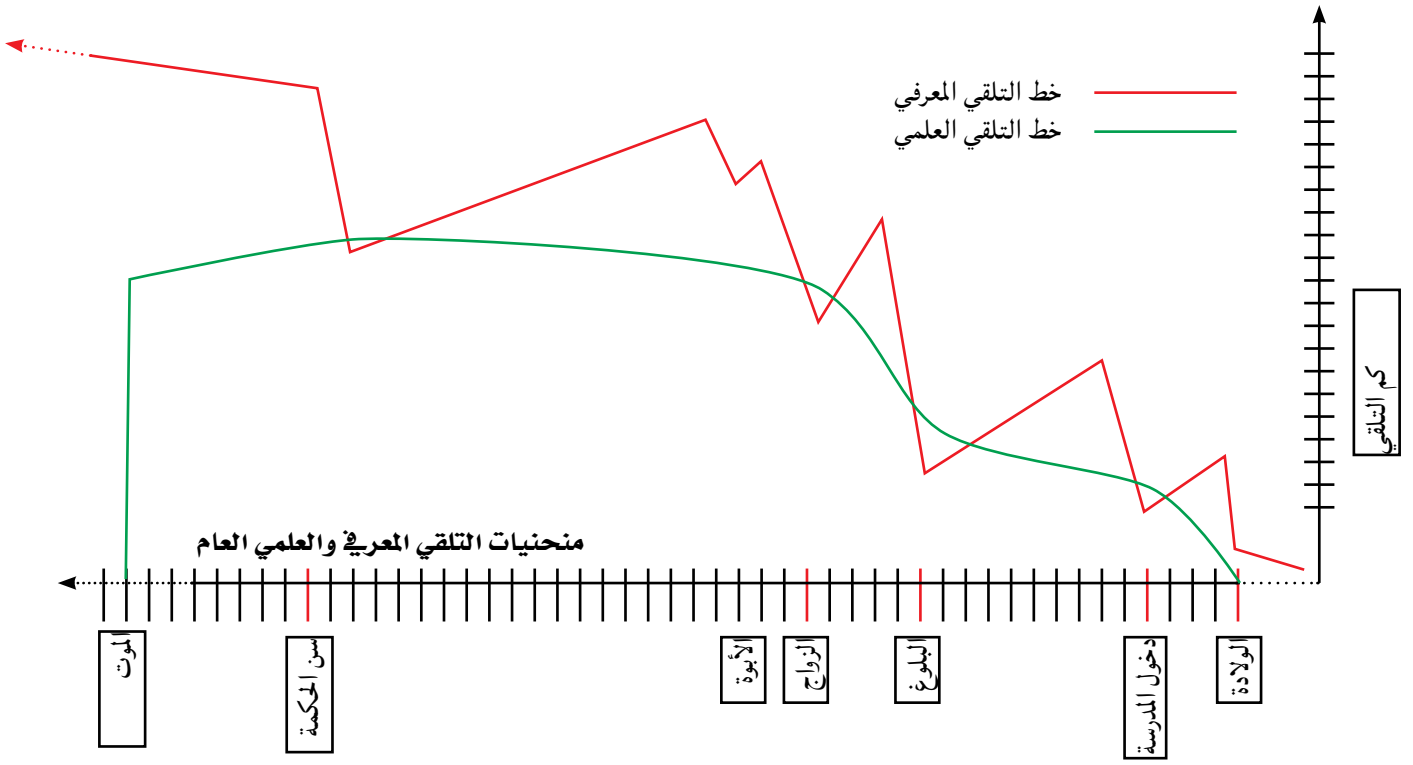
### المرحلة الرابعة

وهي مرحلة ترتيب ما سبق ضمن أطروحة واضحة تعكس طبيعة المعرفة دون أن تفقدها طبيعتها شديدة التبدل « الحركة ».

### وضع الأطروحة

قبل الحديث عن أطروحتي المعرفية أود أن أحدد تعاريف خاصة للمفردات الآتية:  
العلوم: كل ما يستنتجه أو يستحضره العقل من معلومات مفككة أو مترابطة.  
المعارف: كل ما يتلقاه العقل من معلومات حسية وبيوكيميائية قبل فرزها أو الحكم عليها.  
التربية: عملية ربط دقيقة بين العلوم والمعارف ضمن أي بوتقة ثقافية.

لننظر الآن للخط الزمني للتلقائي العلمي والمعرفي عند الإنسان في الرسم البياني أدناه:



ما تقوله المنحنيات البيانية السابقة لنا :

١. أن التلقي المعرفي يبدأ قبل الولادة ولا ينتهي بالموت بينما ينحصر التلقي العلمي بين الولادة والموت.
٢. أن الخط الأحمر ذو سفوح شبه عامودية وذروات مسننة، مما يقترح أن يكون التلقي المعرفي على شكل زخات لها ذروات تتراجع عنها فيما بعد، بينما نجد الخط الأخضر أكثر انسيابية، مما يقترح الطبيعة المتدرجة للتلقي العلمي.

ملاحظة :

حيث أن التلقي المعرفي عند معظم البشر يعتمد اعتماداً شبه كامل على التغيرات الحيوية في الجسد البشري - المؤقتة بالساعة الداخلية - فإن شكل المنحنى شبه ثابت لدينا جميعاً أسودنا وأبيضنا، عالمنا وسفهيها. في النقيض، نجد منحنى التلقي العلمي قابل للتشكيل وإعادة التشكيل بحسب المجهود التربوي.

أطروحة المعرفة

بعد أن قرأت ما سبق فهناك حالتان:

- أن تقبل بالمقدمات التي ذكرناها فتصير المعرفة بالنسبة لك مجموعة من الممارسات التي من شأنها أن تمكن الإنسان من تغيير شكل المنحنيات المرسومة أعلاه لغاية يتم تحديدها بحسب حاجة كل شخص النفسية والاجتماعية والكونية.
- أن ترفض أو تعترض على ما قلناه حتى الآن فتصير المعرفة بالنسبة لك تثبيت لشكل المنحنيات مهما كان ذلك الشكل .

قد يقول قائل :

لم لا يكون هناك جواب واحد واضح للمعرفة؟

لأن العقل البشري أشبه ما يكون بجهاز حاسوب مهما كانت قدراته على تحليل المعلومات فهو بحاجة لمبرمج ولغة برمجة لا علاقة لهما بلغة المستخدم لذلك الحاسوب.

حسناً، ماهي الممارسات التي يمكن أن يستخدمها الإنسان للتأثير على شكل المنحنيات التي ذكرتها؟

يحدد نوعية البرنامج الأكاديمي و المدرسين والمرين شكل خط التلقي العلمي عند الإنسان، بينما تؤثر بعض الممارسات الشائعة كالإيحاء والصحة البرمجة العصبية، التنويم المغناطيسي، الرسائل الإيجابية، ويوغا الاسترخاء على خط التلقي المعرفي.

## المعرفة في المدارس الوجدانية

الأصل في مدارس التربية الوجدانية القديمة أن هناك شكل مثالي للخط الأحمر، في الرسم البياني الذي مر سابقاً، يسمى «الفطرة». تفسد تلك الفطرة أو تعطلها عمليات دمج الإنسان في المجتمع. فيكون الهدف العام من التربية الوجدانية، في كل الأحوال، العودة للكمال من ذلك المنظور. وتصير «المعرفة» هي ثمرة تلك العملية التربوية الدقيقة التي يتداخل فيها التلقي العقلاني مع التلقي الحسي معتمدة على ثلاثة أمور:

١. تحديد المفردات .

٢. تحديد الأهداف.

٣. اختيار التقنيات المناسبة.

### تحديد المفردات

لكل إنسان عالمه وخلفيته العلمية والعملية والمعرفة، لذا فالمدارس الوجدانية تصر على تحديد المفردات التربوية التي ستستخدم في تدريب الطالب من صميم عالمه ومشكلته بلغته العلمية والعملية.

### تحديد الأهداف

الهدف الخاص لكل طالب هو تجربة حسية خاصة يصلها الطالب بمعية المربي في بداية البرنامج. قد تكون تلك التجربة في اليقظة أو المنام..

### تحديد التقنيات المناسبة

التجربة الحسية الأولى هي نقطة الإنطلاق التي تفتح للطالب أول «بسطة خيالية» - أول مجموعة من المجموعات التي سيأتي ذكرها بعد قليل. تعبئة تلك المجموعة يوصل الطالب لنقطة من الوعي تسمى «مقام». نقصد به «المقام» هنا نقطة إشباع التجربة والزهد فيها. أما عملية تعبئة المجموعات فتتم باستخدام تقنيات خاصة وهي نوعان:

١. تقنيات علاجية تتعلق بتصحيح أي خلل في خط التلقي المعرفي لدى الطالب، مثل التمارين الذهنية والجسدية وأنواع الذكر التي تستخدم في علاج المدمنين وذو الأمراض النفسية والاجتماعية المستعصية.

٢. تقنيات بنوية: تتعلق ببناء شخصية الطالب قبل أن تشتته الحقائق الوجودية والاجتماعية مثل التخيلية والتنفس العميق والذكر وقراءة القرآن.

### بناء المجموعات

أبسط الأمثلة على بناء المجموعات هو لو أنك رغبت في الانضمام إلى من لهم اهتمامات بجمع الطوابع فستحتاج إلى من يدخلك إلى ذلك العالم - يجعلك تعيش التجربة وتدرك خفايا الإثارة والإلهام فيها - هذا بالطبع سيفتح لك آفاق جديدة واهتمامات لم تكن عندك من قبل. لنتخيل، الآن وضعك المعرفي عند تلك النقطة كشخص لديه دفتر خال ويرغب أن يحرر فيه كل ما يمكن معرفته عن العالم الجديد الذي دخل فيه. يصطلح في علم الوجدان على تسمية تلك الحالة « بسطة خيالية». وتمر الأيام وأنت في حالة تلقي للمعلومات وانغماس في التجربة الحسية لجامعي الطوابع حتى يأتي يوم تتشبع فيه حواسك من تلك التجربة (هذا بالطبع إن كنت من المجتهدين ولم تنسحب مبكراً لأنك لم تلق اللذة الحسية في تلك التجربة). عند تلك النقطة تكون قد وصلت لمقام «العارف» بهواية جمع الطوابع وإما أن تجد لك من داخل الهواية أو خارجها هواية أكثر إثارة - مجموعة جديدة. لا أحد يستطيع أن يحو التجربة - أي تجربة - من عقله أو خياله.

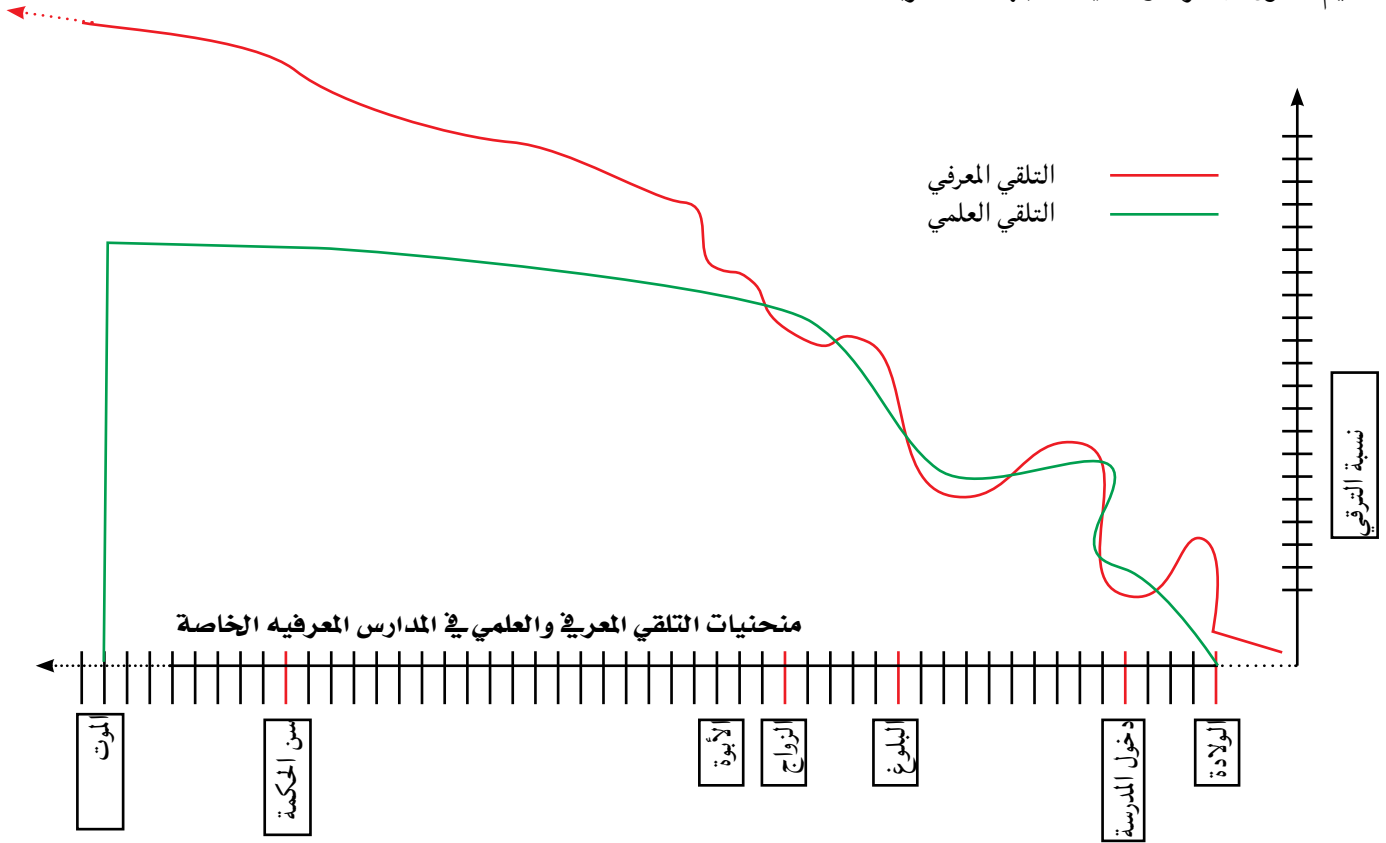
### البرنامج المعرفي

خطة أو خريطة مسبقة الوضع بغاية تغيير شكل خطي التلقي المعرفي والعلمي. يشترط في هذا البرنامج وجود مربٍ كفؤ.

### المربي ودوره

المربي إنسان عادي لا يميزه سوى أنه سلك طريق المعرفة الذي سنتحدث عنه بعد قليل وألم بخباياه. وظيفة المربي الأولى تشخيص حالة الطالب النفسية والجسدية أولاً، ثم مساعدته على تحديد أهداف تتناسب مع وضعه الإنساني والنفسية، ثانياً. ثم أخيراً اقتراح تقنيات مناسبة للوصول إلى ذلك الهدف.

ما لا يقبل من المعلم  
تقديم الحلول الجاهزة أو تحديد المتجهات الفكرية.



من الرسم اعلاه نرى أن البرنامج المعرفي عبارة عن أسلوب تربوي خاص يقوم على التفاعل المستمر بين البنية الفكرية والبنية الجسدية للطلاب تحت إشراف مربٍ متخصص.

#### الأديان والبرامج المعرفية

في الحقيقة أن الأديان كلها، السماوية منها وغير السماوية، لا تعدو أن تكون برامج معرفية عامة والتفاضل بينها في الهدف والتقنيات التي توفرها للطلاب. .. مما وفر لنا، نحن المتأخرين، صيدلية كاملة من التقنيات بكل أنواعها وأشكالها.

#### الطرق المعرفية الخاصة

القاعدة ألا يتطفل الطالب على ما لا حاجة له به. فإن كانت حياته هائلة ومستقرة في ظل البرنامج المعرفي الديني الذي ينتمي إليه فلا حاجة له بما نقول. أما إن مسته نار الفضول أو شتتته حقائق الكون أو مزقته العلل النفسية والفكرية فهو عندها بحاجة لمخرج من أزمته ودواء لعلته فيأخذى الطرق المعرفية الخاصة هي ما يحتاج إليه كمطية تعينه على الخروج من أزمته. لاحظ، عزيزي الزائر، ما أقول بأن الطرق المعرفية الخاصة، ليس لديها إكسيراً للسعادة وليست بدائل للأديان. إنها ببساطة مجموعة من الأدوات والتقنيات التي تعين الطالب على ترتيب شتاته الداخلي لا غير. إنها أشبه ما تكون بعصاة سحرية تحول أعمالك وطقوسك المعتادة إلى ترقيات حسية تلمسها في عمق ذاتك.

#### طريقنا المعرفي

اسمه	الثابت المتحرك
أدواته	تعتمد على خلفية الطالب.
مدة التدريب لدينا دورات قصيرة بغاية تحسين الظروف وبرنامج رعاية كامل.	
التكلفة	لا نريد إلا الإصلاح ما استطعنا.

## شروط الالتحاق

1. أن يكون الطالب بحاجة لمخرج ومتنفس كوني .
2. أن تكون لديه الرغبة أو على الأقل الأمل بمستقبل أفضل.
3. أن يعرف ومنذ البداية أننا لا نبشر بمبدأ وليس لدينا أي أجندة سياسية أو اجتماعية. أقصد أن يدرك بأننا لا نقدم أكثر من تقنيات تعينه أولاً على تحديد الأهداف الخاصة به ثم على أساليب تحقيقها من خلال واقعه الاجتماعي والإنساني. ومن لا ينفع نفسه فلا حاجة له في التفكير في نفع غيره.
4. الباحثون عن الشهرة أو المال أو المنصب لا حظ لهم في هذا البرنامج.
5. العنف والإكراه مع النفس أو مع الآخرين ليس من طريقنا في شيء.
6. بابنا وقلوبنا مفتوحة لإخواتنا الإناث شريطة الوضوح في المقصد والأدب في التعامل وأي اقتراح أو إشارة لتبديل المشاعر ينهي العلاقة وعلى الفور.

## الشكل العام لطريقنا المعرفي

طريقنا المعرفي يقوم على فكرة بسيطة من ثلاثة خطوات (انظر الرسم في الصفحة التالية)

### - التحسس

وهي تمارين بسيطة تعين الطالب على التمييز الواضح بين الحس والشعور ، حيث إن الأحاسيس هي لغة التلقي المعرفي والمشاعر هي لغة التلقي العقلاني. تأتي بعدها عملية ترتيب العلوم والمعارف التي يحملها الطالب ضمن مجموعات يسهل التفاعل معها ومعرفة النقص فيها. - نستخدم في ذلك طريقة «العناصر والروابط» المشروحة في كتبنا بالتفصيل.

### - وضع المرأة

البرنامج المعرفي، كما قلنا سابقاً، أسلوب تربوي يسمح لنا بتغيير الأساليب الثقافية للترقي «المعرفي» - حيث أننا جميعاً في ترق معرفي مستمر، سواء أرضينا أم أبينا، - إلا أن طريقة التعبير هي التي تختلف بين المدارس المختلفة. ما ورثناه من مريتنا هو أسلوب يعتمد على وضع مرآة خيالية بين العقل الظاهر والعقل الباطن ثم استخدام كل الأدوات المتوفرة للطالب لتغيير تجربته الحسية (أحاسيسه) . تغير التجربة الحسية يغير أسلوب انفعال العقل لها ( المشاعر) فيتولد عن ذلك وضع جسدي غير معتاد. الاستغراق في ذلك الوضع لمدة زمنية طويلة يجعل ذلك الوضع هو الوضع العادي (وضع العقل الباطن) ،، وهلم جرا..

### - الوصول

هناك نقطة من الإشباع الحسي يصلها الجسد فيبدأ في التراخي . النقطة التي يعتقد فيها الطالب أنه فقد الرغبة في كل شيء حتى في رياضاته هي نقطة الوصول. الوصول لماذا؟ قد تقول. الوصول إلى حالة من الاتزان النفسي والجسدي التي سماها البعض « الوصول إلى الله» وسماها البعض الآخر «الجنة» ،، الخ. على أية حال، أنا غير مهتم بالتسميات بل بوصف الحالة نفسها وليسها من شاء تسميتها بالاسم الذي يناسبه.

- إنها وضع جسماني يستهلك الجسد وكل حواسه « تجربة كونية»

- إنها حالة من الصحة والتوازن - أي اختلال نفسي أو عضوي أو اجتماعي ينفي مزعم الطالب بالوصول.

- إنها شيء داخلي خاص بالطالب فلا يحق له فيها ادعاء أي مرتبة دينية أو كونية.

- ليس للطالب عند تلك النقطة شعور بالأنا ولا تمييز بين ما هو جزء من تجربته ولا ما هو جزء من تجارب من سبقوه في البرنامج.

- يجد الطالب في تلك النقطة جسده ليناً منقاداً، يستيقظ متى شاء، بلا منبه، ويمتنع عما شاء، بدون غصة، بيد أن وهج البحث يكون قد انطفأ ونار الفضول لمعرفة ما وراء حجاب العقل الظاهر قد صارت رمادا.

### - الوظيفة

كما أن لكل شيء في الوجود سبب فما من واصل ولا عائد للفطرة السوية إلا وله هدف بعينه . يبقى السؤال عن ماهية ذلك الهدف، وجوابنا على ذلك جواب ضبابي كالمعرفة نفسها: **دور كل واصل هو ما يمليه عليه الحس متى أنجلت سحب الأكاذيب الثقافية وتطهر الخيال.**

# الشكل العام لبرنامج الثابت المتحرك المعرفي

